الدولة الأخشيدية: ٣٢٣ ـ ٣٥٨ هـ /٩٣٥ ـ ٩٦٩ م

لم تستقر الأوضاع في مصر أكثر من ربع قرن بسبب اضطراب الخلافة العباسية وعدم استقرار الأمور في عاصمتها بغداد. فانعكست آثار هذه الأوضاع على مصر وسائر الأقاليم العباسية آنذاك. وقد زادت الحالة الداخلية في مصر سوءاً بسبب الحملات الفاطمية من وقت لآخر بغية الإستيلاء عليها.

في وسط هذه الظروف ظهر محمد بن طغج الملقب بالأخشيد. وهذا اللقب من ألقاب ملوك فرغانة في بلاد ما وراء النهر. وقد دخل جده «جف» في خدمة الخليفة العباسي المعتصم. ثم ابنه الواثق فأخيه المتوكل بسامراء. وعمل أبوه في جيش أحمد بن طولون بنواحي طرسوس من أعمال دمشق، كما دخل محمد في عداد الحملة التي جاءت إلى مصر تحت قيادة «تكين» التركي. فأظهر براعة حسنة في قتال الحملة الفاطمية التي هاجمت مصر سنة ٣٠٢ هـ /٩١٤ م بقيادة حباسة بن يوسف الكتامي. وظل محمد بن طغج يرتقي إلى أن ناب عن القائد التركي «تكين»[١٦] في عدة ولايات. ثم استقوى بعد أن صاهر الفضل بن جعفر صاحب الكلمة في بغداد عندئذٍ.

وأخيراً تحققت آمال محمد بن طغج لما أحست الخلافة العباسية بحاجتها إلى رجل قوي يقر الأمن في مصر لاضطراب أحوالها بسبب مطامع القواد من جهة واستبداد محمد بن علي الماذرائي صاحب الخراج في مصر من ناحية أخرى، فولاه الخليفة العباسي الراضي بالله ٣٢٢ ـ ٣٢٩ هـ /٩٣٤ ـ ٩٤٠ م على مصر سنة ٣٢٣ هـ /٩٣٥ م بعد تصديه للحملة الفاطمية[١٧] سنة ٣٢١ ـ ٣٢٤ هـ /٩٣٣ ـ ٩٣٦ م. ومنحه لقب «الأخشيد»، فدعي له على منابر مصر والشام سنة ٣٢٧ هـ /٩٣٨ م. بهذا اللقب. فتأسست ثاني دولة مستقلة في مصر أيام العباسيين.

وقلد الأخشيد محمد بن طغج الطولونيين في جميع أعمالهم وبخاصة من

---

(١٦) النجوم الزاهرة ٣ / ٢٥٠ ـ ٢٥٤.

(١٧) الكامل في التاريخ ٦ ـ ٢٣٨. والنجوم الزاهرة ٣ / ٢٣٧.

الناحية السياسية والتاريخية. وحاكاهم في بلاطه ومواكبه وتصرفاته. وحرص على إنشاء جيش قوي اعتمد عليه في توطيد مركزه والدفاع عن البلاد. وسرعان ما افتضح أمره ونواياه في العمل من أجل السيطرة على الشام. الأمر الذي أغضب الخليفة عليه. وقلد محمد بن رائق مصر. ومن جانبه الأخشيد رد على تكليف ابن رائق أعمال مصر بإلغاء الخطبة للخليفة العباسي. حتى قيل انه أمر بذكر الخليفة الفاطمي بدلاً منه.

ولما دارت الحرب بينهما تمكن الأخشيديون من الانتصار على ابن رائق قرب العريش. لكنه اضطر إلى القبول بالصلح بينهما على أن يتقلد ابن رائق الأراضي الشامية شمالي الرملة مقابل جزية سنوية مقدارها ٤٠ ألف دينار سنوياً. ثم لم يلبث أن مات ابن رائق، مما مكن الأخشيد من استعادة نفوذه على بلاد الشام دون جهد. إلا أن سوء العلاقات بين الأخشيد وسيف الدولة الحمداني في حلب لم يبعث على الإستقرار في مصر. وكان ذلك في الوقت الذي خرج العلويون على الأخشيد في مصر مما تطلب منه جهداً كبيراً لتهدئة الأوضاع داخل البلاد. انصرف بعدها إلى محاربة الحمدانيين واستعادة البلاد الشامية التي غلب عليها الحمدانيون فانتصر الأخشيد يساعده قائداه كافور الحبشي وفاتك الرومي عليهم في موقعة قنسرين بسوريا الشمالية، ودخل مدينة حلب واسترد دمشق، لكن الأخشيد عاد وتنازل عن حلب وشمال سوريا لسيف الدولة الحمداني[١٨] بعدما عقدت معاهدة صلح بين الطرفين ختمت بزواج سيف الدولة من ابنة أخي الأخشيد تمتيناً لعرى الصداقة بين الدولتين سنة ٣٣٣ هـ / ٩٤٥ م.

عرفت البلاد التي امتد نفوذ الأخشيد عليها ـ مصر واليمن والشام فضلاً عن أمر مكة والمدينة ـ حالة من الرخاء نتيجة لامتلاكه ثروة طائلة، واتباعه سياسة إصلاحية في مختلف مرافق البلاد من قصور وبساتين. ومات الأخشيد سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٦ م ودفن ببيت المقدس. فخلفه ابنه أبو القاسم أو نوجور على أن يقوم بالوصاية عليه كافور الذي أصبح صاحب السلطان في إدارة شؤون الدولة. حتى سنة ٣٤٩ هـ / ٩٦٠ م، وعلي بن الأخشيد الذي مات سنة ٣٥٥ هـ / ٩٦٦ م

(١٨) الكامل في التاريخ ٦ / ٣١٢ والنحوم الزاهرة ٣ / ٢٥١ ـ ٢٥٦.

أعلن بعدها كافور نفسه والياً على مصر من قبل الخليفة[١٩].

وقد نجح كافور في سياسته الخارجية والداخلية، سواء في محاربة سيف الدولة الحمداني والحد من أطماعه في بلاد الشام، إلا في القضاء على الثورات الداخلية وتوطيد الأمن والإستقرار في البلاد[٢٠]، وقد تعرضت بلاد الشام لغارات القرامطة فنهبوها وقبضوا على قافلة مصرية كبيرة للحجاج تتألف من ٢٠ ألف جمل كانت في طريقها لأداء فريضة الحج. فضلاً عن الزلازل المروعة التي وقعت بالبلاد، والنيران الهائلة التي التهمت ١٧٠٠ منزلٍ بالفسطاط، وإغارات ملك النوبة التي تواصلت هجماته حتى أخميم.

ونجح دعاة الشيعة في بث دعوتهم في أنحاء البلاد المصرية حتى كثر أتباعهم فيها، ومحاولات الهجوم عليها من قبل الفاطميين في المغرب لم تنقطع حتى إذا توفي كافور سنة ٣٥٨ هـ /٩٦٨ م أرسل المعز لدين الله الفاطمي قائده جوهر الصقلي على رأس حملة كبيرة نجحت في الإستيلاء على مصر سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م. وبذلك سقطت الدولة الأخشيدية لتحل محلها الدولة الفاطمية في حكم مصر والشام.

---

(١٩) النحوم الزاهرة ٣ / ٣٢٣ ـ ٣٤٤. و ٤ / ٢.

(٢٠) النجوم الزاهرة ٤ / ٣ ـ ٦